الجزء الثانى

الدعاية السياسية

فى العصر الأموى

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة الجزء الثانى

يختلف التأريخ الإعلامىعن غيره من أنواع التواريخ الأخرى وذلك للعلاقة الوثيقة التى تربط الإعلام أو الاتصال بالمجتمع ، والتى على ضوئها تتحدد مدى قدرتها على فهم طبيعة النظام الاتصالى فى بيئة ما . فنحن لا نستطيع أن نفهم طبيعة النظام الاتصالى فى مجتمع ما إلا إذا تفهمنا ذلك المجتمع .. ولا نستطيع أن نفهم المجتمع إلا بفحص أفكاره ومعتقداته ومبادئه وتاريخه وفلسفته .

ومن ثم تتضح لنا طبيعة العلاقة التكاملية بين النظام الاتصال السائد وبين المكونات المختلفة للنظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والثقافى ، كما تتضح لنا مدى صعوبة المهمة الملقاة على عاتق المؤرخ الإعلامى .

ويمكننا أن نحدد هذه الصعوبات وخاصة بالنسبة للفترة الزمنية التى استهدفنا التأريخ الإعلامى لها ((العصر الأموى)) على النحو الآتى :-

- إهمال المؤرخين العرب لأثر الزمن وما يصحبه من تطور، فهم ينسبون الكثير من التطورات التى احتاجت الى وقت طويل الى أشخاص سابقين ولدينا أمثلة كثيرة : " فالنظام المالى لا سيما تنظيم الجزية والخراج ينسب كله الى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ فيذكر المؤرخون أنه عد الجزية رمز الخضوع فيدفعها الذمى ، واعتبر الخراج إيجارا للأرض لا ضريبة ولذا وجب على المسلم والذمى دفعه .. ولكن البحث يدل بوضوح على أن هذا التمييز الأخير لم يحصل إلا فى زمن عمر بن عبد العزيز فى حين أن عمر بن عبد الخطاب عد الأثنين رمز خضوع وأعفى من أسلم من كليهما " (١) .

- إهمال المؤرخين للدوافع النفسية الخاصة بالمشتركين فى تلك الأحداث وكذلك أيضا إهمالهم للمكونات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية الخاصة بالبيئة الاجتماعية للأحداث . فالحوادث المختلفة ما هى إلا نتاج لهذه العوامل .

- ـ النظرة الجزئية للمؤرخين . سواء بالتركيز فى تدوين التاريخ على أساس الأسر الحاكمة أو بالاقتصار على رواية الأحداث منفصلة عن بعضها البعض أو بالاقتصار على التأريخ لجانب واحد فقط والتأريخ للمجتمع كله من زاويتها .

- ـ الخضوع (وخاصة بالنسبة للعصر الأموى) لضغط الاتجاهات الحزبية والدينية والشخصية ولضغط الظروف التى تم فيها التأريخ لهذا العصر . فقد دون هذا التاريخ فى ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية مغايرة للظروف التى وقعت فيها الأحداث وأحيانا من قبل أفراد مخالفين فى الاتجاهات والميول للقوى السياسية المشتركة فى هذه الأحداث وفى نفس الوقت أيضا نلاحظ كما يقول " الدورى" فى كتابه " مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام " إن كثيرا مما كتب كان بغرض الدعاية " (٢) .

وعلى هذا فإن التأريخ لهذه الفترة الهامة من تاريخ أمتنا يحتاج إلى محاولة جادة متأنية لإعادة كتابته وتنقيته من كافة الشوائب التى علقت به ، والى فريق متعاون من الباحثين فى التخصصات المختلفة كالتاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والإعلام والآثار والسياسة إضافة الى المتخصصين فى العقيدة والتفسير والحديث وعلوم اللغة العربية . وذلك لدراسة الأحداث المختلفة من وجهة نظر تكاملية ، الأمر الذى يساعد على إبراز النواحى الحضارية الأخرى للحضارة الإسلامية كالآداب والاقتصاد والثقافة والتربية بدلا من الاقتصار على الجوانب السياسية فقط كما حدث فعلا .

فالعرب المسلمون " بنوا حضارة عظيمة كان لها دورها فى تاريخ الحضارة العالمية وكانت الأساس الذى استندت إليه النهضة الأوربية فى العصور الحديثة " (٣) وواجب المؤرخين هو العمل على إبراز هذه الحضارة وتحديد مكوناتها وملامحها بدلا من الاقتصار

على تقديم التاريخ الإسلامى وكأنه مجموع وقائع وحروب ولا شئ أكثر " (٤) .

ونظرا لطبيعة هذه الدراسة الخاصة بالتأريخ للدعاية السياسية فى العصر الأموى من حيث مفهومها وفلسفتها ونشأتها وتطورها وأجهزتها ووسائلها وأهدافها وأساليبها . ونظرا لارتباط التأريخ للدعاية السياسية بالمكونات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية لهذا العصر . ونظرا لأننا لا نستطيع أن نتعرف على طبيعة الدعاية السياسية إلا إذا تعرفنا على ظروف المجتمع الذى ندرسه من حيث أفكاره ومعتقداته ومبادئه وتاريخه وفلسفته ومن حيث مكوناته الأخرى المختلفة لذلك كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نخطو خطوة ايجابية تجاه الأخذ بهذا المفهوم التكاملى للتاريخ وذلك لنصل الى نتائج ايجابية فى موضوع دراستنا .

وعلى ضوء النموذج التالى لتحليل عملية التأريخ الاعلامى يتضح موقع المؤرخ لإعلامى فى نطاق عملية الاتصال وتتضح بالتالى الصعوبات التى تواجهه والاعتبارات العديدة التى ينبغى عليه مراعاتها للخروج بنتائج قيمة . كما يتضح لنا الإطار الذى ينبغى على الباحث ألا يتجاوزه خلال عمليتى التحليل والتفسير للأحداث التاريخية .. وأيضا المدى المفروض للاستنباط والاستدلال حتى لا ينتهى به الأمر الى تجاوز هذه المعطيات التاريخية بالمبالغة فى الأستنباط أو الأفراط فى الخيال والتصور .

نموذج لتحليل عملية التأريخ الاعلامى
وموقع المؤرخ فى هذه العملية

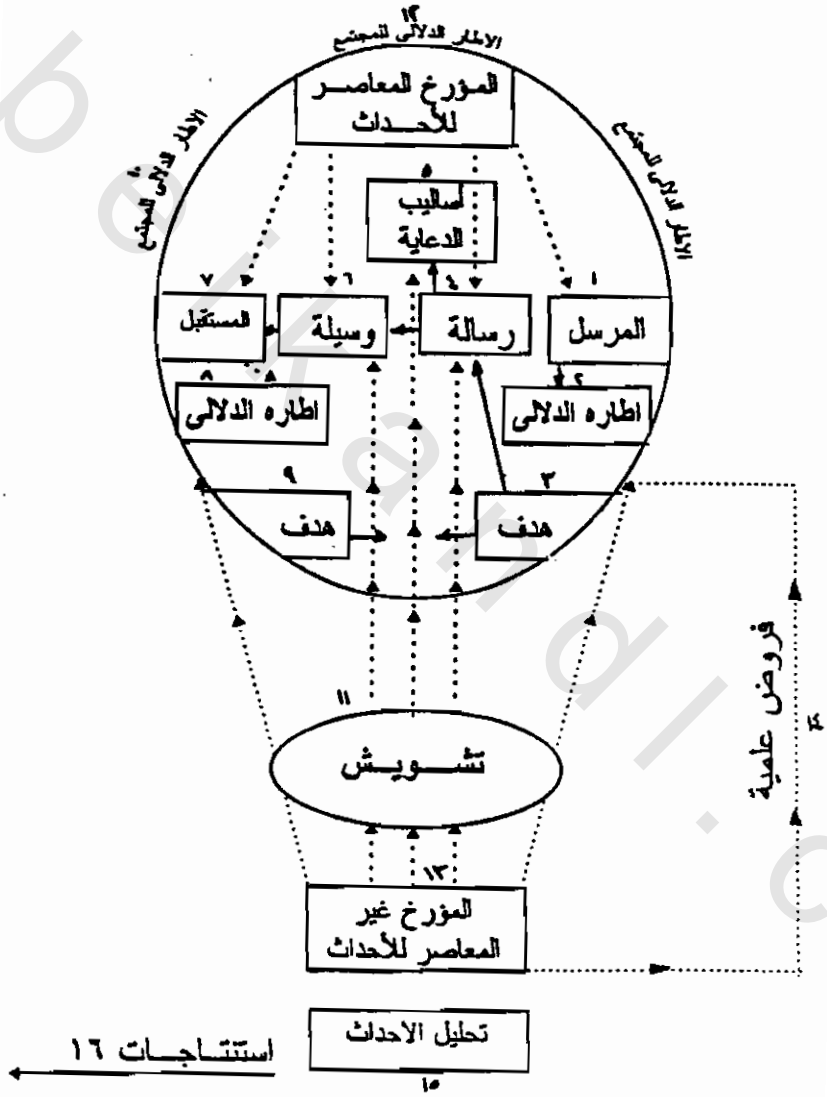

ومن الشكل السابق يتضح لنا أن الهدف الأساسى للاتصال هو التأثير .. فنحن نتصل لنؤثر سواء فى البيئة أو فى الآخرين .

وما دمنا نتصل لنؤثر . فلابد من وجود أهداف لنا نسعى إلى تحقيقها . وهذه الأهداف لا تنبع من فراغ وإنما تتحدد على ضوء عوامل عديدة مثل : التركيب الفسيولوجى ـ القدرات ـ الطاقات الأساسية ـ الجزاء المتوقع ـ الجهد المطلوب ـ الدوافع ـ الأهداف ـ الاتجاهات ـ تجارب الفرد وخبراته السابقة ـ ثقافته ـ البيئة الاجتماعية والمادية ـ معتقداته ـ مفاهيمه (٥) ....الخ . ويطلق على هذه المكونات الإطار الدلالى لكل من الفرد والمجتمع .

وعلى ضوء هذه الأهداف تصمم الرسالة الاعلامية بالشكل الذى يساعدنا على تحقيقها . ولذلك فنحن نحرص على اتباع الأساليب العلمية والفنية المختلفة للاعلام أو الدعاية لهذه الفكرة . وفى نفس الوقت أيضا نتقصى أفضل الوسائل المناسبة لعرض الفكرة والموافقة لطبيعة المستقبل وقدرته على الاستقبال .

ويقوم المستقبل سواء كان فردا أو جماعة أو شعبا من الشعوب باستقبال الرسالة الإعلامية وفك رموزها وتقويمها وفقا للمكونات المختلفة لإطاره الدلالى وللإطار الدلالى للمجتمع الذى يعتبر هو نفسه أحد مكوناته . وإذا نتج عن هذه الفكرة أو الرسالة أن اتبع المستقبل السلوك الذى تريده الفكرة نكون قد نجحنا فى تحقيق أهدافنا أما إذا لم يتبع السلوك المطلوب فمعنى هذا أننا فشلنا فى تحقيق ما نصبوا إليه .

وعلى هذا فإن نجاح رجل الإعلام أو الدعاية مرتبط بقدرته على تحقيق أهدافه . ولن يتمكن المرسل من تحقيق هذه الأهداف إلا إذا تمكن أولا من تفهم المكونات الأساسية لإطاره الدلالى (رقم (٢) فى الشكل السابق) وللإطار الدلالى للمجتمع (١٠) وحدد أهدافه (٣) وكانت لديه المقدرة الفنية على صياغة الرسالة الإعلامية المناسبة (٤) وراعى فى صياغتها الأساليب الفنية والعلمية للإعلام أو الدعاية لهذه الفكرة (٥) ثم اختار الوسيلة الإعلامية المناسبة (٦) وتفهم العوامل الخاصة بالمرسل من حيث إطاره الدلالى (٨) والإطار الدلالى للمجتمع الذى يعتبر المستقبل أحد مكوناته أو عناصره ..

وعلى ضوء الأهداف أو النتائج المتحققة (٩) يتحدد مقدار النجاح أو الفشل للقائم بالاتصال .

وتقل الصعوبات التى يواجهها المؤرخ الإعلامى المعاصر للأحداث (١٢) . فهو كشاهد عيان يستطيع بقدر من الجهد أن يكون على بينة بمختلف الظروف والدلالات المتعلقة بكل من المرسل والمستقبل .. ومن خلال المعلومات المتوافرة له عن الرسالة والوسيلة والأساليب الإعلامية المستخدمة يستطيع أن يسجل لنا الجانب الإعلامى للأحداث المعاصرة غير منفصل عن الجوانب أو الظروف الأخرى المتعلقة بالمجتمع .

وحينما ينفصل المؤرخ الإعلامى عن الفترة التى يؤرخ لها بمئات السنين ، ويفتقد الصلة بكل من المرسل والمستقبل والمجتمع والإطار الدلالى لكل منهم يصبح عليه أن يعتمد فى كتابة التاريخ الإعلامى لهذه الفترة من هذا العصر على الرسالة الإعلامية ممثلة فى الوثائق التاريخية من هذا العصر وعلى النتائج أو الأحداث التى دونها المؤرخون فى سجلاتهم وأيضا على الانتاج الأدبى والفنى الخاص بهذه الفترة .

وعلى ضوء هذه المعلومات بعد تنقيتها وتمحيصها عليه أن يستخلص الحقائق الخاصة بكل من المرسل والمستقبل والمكونات المختلفة للإطار الدلالى الخاص بكل منهم وذلك كأساس لمحاولة التأريخ الإعلامى لهذه الفترة .

وفى نفس الوقت عليه أن يتلافى كافة أسباب التشويش (١١) ونقصد به العوامل المؤدية الى الإيهام أو اللبس أو الغموض نتيجة لعدم توافر المعلومات أو قصورها أو تحيزها أو نتيجة للملابسات التى شابت التأريخ الإسلامى للعصر الأموى والتى سبق لنا تحديدها.

وعلى ضوء كافة هذه المتغيرات ومن خلال الأهداف المحددة للدراسة (١٤) وفى إطار المعطيات التاريخية يستخلص الباحث استنتاجاته ونتائجه (١٦) .

والدراسة التالية هى محاولة لتطبيق هذا المنهج الذى وضعته لها . ومع ذلك فأننى لا أدعى أننى قد وفيت موضوع الدعاية السياسية فى العصر الأموى حقه من البحث والدراسة لأنه ميدان رحب فسيح . وحسبى أن يكون هذا الكتاب مجرد محاولة متواضعة من جانب المؤلف لتوجيه نظر الباحثين والمهتمين بالإعلام والاتصال بالجماهير الى ضرورة العودة إلى التراث الإسلامى وتأصيله نظريا .. والتأريخ لتطبيقاته العملية فى حقل هام من الحقول التى ظلت مهملة طويلا وهو حقل الإعلام والاتصال بالجماهير .

وأرجو أن أكون قد وفقت بعض التوفيق فإن كان ذلك فلله الحمد وإن جانبنى الصواب فلا أظن أننى أعدم العذر والصبر الذى أتسلى به وملاذى فى ذلك قوله تعالى { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين } وفى قول خير البرية :" إذا أجتهد المجتهد فأصاب فله أجران . وإذا أجتهد فأخطأ فله أجر واحد .

والله ولى التوفيق

الباب الأول

الأحزاب السياسية

فى العصر الأموى

الفصل الأول : ـ الأحزاب السياسية فى العصر الأموى

نشأتها وجذورها الفكرية

الفصل الثانى : ـ الأحزاب السياسية وظروف العصر

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيـــد : -

لتحديد مفهوم الدعاية السياسية فى العصر الأموى وظروف نشأتها وتطورها وأهدافها ، وأيضا للتعرف على أجهزة الدعاية السياسية للعصر الأموى والوسائل التى استخدمتها الأحزاب والأساليب التى سلكتها لتدعيم سطوتها وبسط نفوذها وسلطانها على سواها من الأحزاب المتصارعة يجب أن نتعرف على مفهوم كل من الحزب والسياسة ، وعلى الركائز الأساسية للحزب السياسى والى أى مدى توافرت هذه الركائز للأحزاب فى العصر الأموى ؟ وما هى الجذور التاريخية للنزاع على الخلافة ؟ والمراحل التى مر بها هذا النزاع الى أن تبلور فى شكل أحزاب سياسية لكل منها أفكاره وتصوراته وأصوله الفكرية التى تميزه عن غيره من الأحزاب ؟ والى أى مدى كانت الأحزاب السياسية انعكاسا لظروف العصر الأموى الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وهذا هو موضوع الباب الأول من هذه الدراسة : وسنتحدث فيه عن الجوانب الآتية :

- مفهوم السياسة .
- مفهوم الحزب .
- الركائز الأساسية للحزب السياسى .
- نشأة الأحزاب السياسية المعاصرة .
- النزاع السياسى على الخلافة ونشأة الأحزاب .
- الجذور الفكرية لأحزاب العصر الأموى .
- الأحزاب السياسية وظروف العصر :الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

obeikandl.com

الفصل الأول

الأحزاب السياسية فى العصر الأموى

نشأتها وجذورها الفكرية

أولا : مفهوم السياسة :-

السياسة لغة تدبير شئون الناس وتملك أمورهم والرياسة عليهم ونفاذ الأمر فيهم . جاء فى لسان العرب : السوس : الرياسة ، يقال: ساسهم ، إذا رأسهم . ويقال : سوسوه وأساسوه ، اذا رأسوه ، وساس الأمر سياسته والجمع ساسة وسواس .

وفى الحديث النبوى كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم أى تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية . والسياسة القيام على الشئ بما يصلحه (٥) . وجاء فى القاموس المحيط : سيست الرعية سياسة : أمرتها ونهيتها . وفلان مجرب قد ساس أى أدب ، ومجرب قد سيس عليه أى أدب . وسوس فلان أمور الناس أى صير (٦) ملكا .

وهذه المعانى هى ما تدل عليه كلمة POLICY فى اللغة الإنجليزية فهى التدبير أو الرياسة أو طريقة الحكم وأشكاله فى قطر من الأقطار .

أما السياسة اصطلاحا فيختلف معناها ويتنوع بين الباحثين المسلمين والمحدثين . ومعناها حديثا هو فن الحكم . أى تدبير الحاكمين لشئون المحكومين وتوفير الحياة الطيبة لسائر طبقات

الشعب ، وهى الأسلوب الذى يجب أن يتبع فى معاملة كل طبقة بعيدا عن الظلم والاستبداد والاستغلال .

" وعلم السياسة على هذا هو الذى يبحث فى حكم الأمم من حيث أشكاله ونظمه ومقدار ملاءمته لأحوال الشعب ".(٧)

وقد اختلطت السياسة بهذا المعنى لدى المسلمين بالدعاية والاتصال بالجماهير ، وكان المسلمون كما يقول " الدكتورإبراهيم إمام " . " يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية السياسة" كما ورد فى مروج الذهب للمسعودى عندما يقول " وقد بلغ من إحكام معاوية السياسة واتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه وأعوانه ..الخ " ويقصد بذلك تأثير معاوية فى الجماهير عن طريق الرواية والدعاية . وقد بلغ الأمر الى حد تزييف الأحاديث واختلاق الروايات وتلفيق المواقف التاريخية من أجل التحكم فى نفوس الجماهير . ومن يتتبع الطبرى وابن الأثير يستطيع أن يقف على تفاصيل الدعاية الإسلامية فى العصر الأموى والعصر العباسى . كما يتضح دور الفرق الإسلامية المختلفة من أهل السنة والمعتزلة والشيعة فى الدعاية السياسية والدينية معا (٨) .

كما انبنى مفهوم السياسة لدى علماء المسلمين على فكرة الخلافة أو الإمامة .. واختلفت اجتهاداتهم وفقا لثقافاتهم ومذاهبهم وتنوع الحركات العلمية والفرق الدينية والحركات السياسية التى مثلوها . تنوع الصراع حول تطبيق هذه المفاهيم من مجرد مقارعة الحجة بالحجة والإقناع الى الحروب والثورات التى كلفت المسلمين ضحايا لا تعد ونكبات لا تعوض . وإن كانت أثمرت مع ذلك تراثا ضخما فى الفكر السياسى استفادوا فيه من الثقافات الماضية والحضارات السابقة وأدخلوا ذلك فى أحاديثهم وكتاباتهم وتفكيرهم .

ومن العلماء الذين قدموا لنا آراء وتصورات ذات قيمة فى هذا المجال .. الفارابى وابن سينا وإخوان الصفا وابن خلدون . ونكتفى هنا بما ذكره ابن خلدون فى مقدمته . يقول : لما تبين أن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا .. فصاحب الشرع يتصرف فى الأمرين .. أما فى الدين فبمقتضى

التكاليف الشرعية الذى هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها . وأما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم فى العمران البشرى.

ويزيد على ذلك فيقول : فاعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التى هى الخلافة . فكأنها الإمام الكبير والأصل الجامع . وهذه كلها متفرعة عنها وداخلة فيها لعموم الخلافة وتصرفها فى سائر أصول الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ أحكام الشرع فيها على العموم .

ويقسم ابن خلدون السياسة هكذا الى قسمين سياسيين : الدين والشرع وسياسة الدنيا . ولابن خلدون فى السياسة الثانية عبارة شاملة جامعة يقول فيها : أعلم أن السلطان فى نفسه ضعيف يحمل أمرا ثقيلا فلابد له من الاستعانة بأبناء جنسه . وإذا كان يستعين بهم فى ضرورة معاشه وسائر مهنه . فما ظنك بسياسة نوعه ، ومن استرعاه الله من خلقه وعباده (٩) . والشواهد العملية من تاريخ الدولة الأموية تؤكد هذا الفهم للسياسة . فكان شعار معاوية بن أبى سفيان . " لا أضع لسانى حيث يكفينى مالى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ، فإذا لم أجد من السيف بدا ركبته " (١٠) . كما أنه أدرك منذ أيام ولايته طباع أهل الشام وأخلاقهم فماشاهم وساسهم أحسن السياسة فأخلصوا له أشد الاخلاص وحفظوا له أطيب الذكرى والتفوا حول بيته حتى أصبح آل أمية وجه دمشق المشرق . وسار أغلب خلافائه على نهجه . وخير مثال له عبد الملك بن مروان ، فقد جابه أخطارا عديدة .. الروم من جهة ، وعبد الله بن الزبير والخوارج من جهة أخرى وأهل قرقيسيا والقيسية من جهة ثالثة يضاف الى ذلك حركة خطيرة لآل البيت ورجل من البيت الأموى يستغل خروج عبد الملك الى قرقيسيا فيعلن فى دمشق عزل عبد الملك ويتمرد عليه وهو عمرو بن سعيد بن العاص .

وقد تمثل ذكاء عبد الملك فى حسن سياسته فى مقدرته على عدم تحريك كل هؤلاء ضده فى وقت واحد , فالروم لهم الجزية يؤديها إليهم وعمرو بن سعيد له العودة السريعة الى دمشق والقتل

بيد عبد الملك نفسه ، وأمير قرقيسيا له الصلح والمال الوفير ، وأما الخوارج وابن الزبير فلهما الانتظار حتى ينتهى القتال الدائر بينهما، حتى إذا انتهى بظفر فريق بعد انهاك قواه انقض عليه عبد الملك بجيش مستريح مستعد للقتال ، وخلال هذا كله كان عبد الملك يعرض الأمان لأعدائه ويستميل قوادهم بشتى الوسائل .

وعندما افتقدت الممارسات السياسية للأمويين هذا المفهوم العملى وأصبحت القوة هى الأسلوب الأمثل للممارسات السياسية وخاصة على عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، ضاعت الدولة الأموية لأنها فشلت فى الاستفادة من السياسة فى تفتيت خصومها وفى الوقت نفسه عجزت الدولة الأموية عن فرض سيطرتها العسكرية على أقاليمها المترامية الأطراف (١١) .

فالسياسة إذن كما عرفها المسلمون فى ذلك العصر وثيقة الصلة بالدعاية السياسية والاتصال بالجماهير . والباحث فى الدعاية السياسية فى العصر الأموى ، هو أساسا باحث فى سياسية هذا العصر ونظرية الحكم وموقف الأحزاب المختلفة منها ومناهجها ووسائلها وأساليبها وأهدافها .

وتتضح هذه الصلة الوثيقة بين كل من الساسية والدعاية السياسية والاتصال بالجماهير من تحليلنا لمفهوم الدعاية السياسية كما عرفها هذا العصر ومن تحليلنا لنشأة الأحزاب السياسية والإسلامية وتحديد الأصول الفكرية لهذه الأحزاب وارتباط هذا كله بالظروف الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للعصر الأموى وذلك كما يلى :

مفهوم الحزب :-

الحزب فى لسان العرب هو الصف من الناس ، وهو كل جماعة من الناس وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم . وجاء فى تاج العروس أن الحزب هم جماعة جند الرجل .. جماعته المستعدة دوما للقتال ونحوه . وحزب الرجل : أصحابه الذين على رأيه (١٢) .

ويقصد بالحزب PARTY فى اللغة الإنجليزية قسم أو جزء وهو يحتوى على مجموعة من الناس . وإذا تقدمنا الى المعنى الاصطلاحى لهذه الكلمة وجدنا تعريفات عديدة له. يعرف " بنيامين كونستان " الحزب السياسى بأنه " اتحاد أشخاص يعتنقون نفس المبادئ السياسية . ويعرفه " كلسن KELSEN " بأنه عبارة عن " تلك المنظمات التى تجمع بين الرجال ذوى رأى واحد لتضمن لها تأثيرا حقيقيا وفعالا فى إدارة الشئون العامة " (١٣) . ويرى " دزرانيلى " أن الحزب عبارة عن " مجموعة من الناس مترابطة فيما بينهما وتسعى نحو أهداف ومبادئ معينة .

أما كولمان COLEMAN فيعرف الأحزاب بأنها اتحادات أو جمعيات منظمة بصفة رسمية ولها هدف واضح. ويعرف "هارولد لازويل" الحزب بأنه " المنظمة المختصة بتقديم المرشدين والقضايا السياسية تحت أسمها فى الانتخابات (١٤) . ويذهب هوزار ، استيفانسون " HUSZAR & STEVENSON إلى أن " الحزب السياسي عبارة عن مجموعة من الناس تسعى لتحقيق الرقابة على الحكومة بهدف وضع برنامجها موضع التنفيذ ، وتعيين أعضائها فى مناصب وظيفية . وهى تسعى لاكتساب القوة من خلال طريقين أساسيين : إما عن طريق المشاركة السليمة فى العملية الشرعية للحكومة بهدف تحقيق النجاح لأعضائها فى العملية الانتخابية بحيث تحتل غالبية المقاعد الرسمية وإما عن طريق العملية غير الشرعية آملة فى كسب السيادة العليا من خلال الثورة " .

وأما ايدموند بيرك E. BURKE فيرى أن الحزب مجموعة من الناس اتحدوا فيما بينهم للعمل بمجهودهم المشترك على تحقيق الصالح العام وفقا لمبدأ معين يتفقون عليه جميعا فيما بينهم .

فالحزب السياسى إذن هو مجموعة منظمة من الناس ذات مبادئ ومصالح واحدة . وتسعى هذه الجماعة لتحقيق أملها فى الوصول الى السلطة والمشاركة الفعلية والحقيقية فى الحكم . ومن ثم تتمكن من وضع مبادئها وأهدافها العديدة موضع التنفيذ(١٥).

والنقطة الرئيسية فيما يتعلق بهذه الأحزاب هى أنها جماعات تتحقق لها درجة معينة من التنظيم والاستمرار يضاف إلى ذلك أنها تنشأ عادة لتلبية احتياجات ولخدمة أفكار وغايات محددة .

وعلى الرغم من أن هذه التعريفات للحزب السياسى حديثة ، إذ أن عمر الأحزاب السياسية لا يزيد كثيرا عن مائة وخمسين عاما وأن الأحزاب السياسية فى العصر الأموى سبقتها فى الظهور بأكثر من ألف ومائتى عام .. فإن الأمر الذى يدعونا الى التساؤل هو :- إلى أى مدى تعتبر الأحزاب السياسية فى العصر الأموى أحزابا سياسية حقيقية ؟ . وللإجابة على هذا السؤال يجب أن نتعرف على:-

الركائز الأساسية للحزب السياسى :-

سبق القول فى التعريفات العديدة للحزب بأنه يمثل مجموعة منظمة من الناس يشتركون فى مجموعة من المبادئ والمصالح ، وتسعى هذه الجماعة للوصول للسلطة بهدف المشاركة فى الحكم وتحقيق هذه المصالح والمبادئ المختلفة ، وعلى هذا ، وانطلاقا من هذا التعريف يمكن التوصل الى أن هناك ركائز أساسية يرتكز عليها الحزب السياسى وتنحصر فيما يلى :-

١-مجموعة من الناس ينضمون بصورة طوعية اختيارية إلى الحزب يؤمنون بمبادئه ، ويعملون على نشرها والدفاع عنها . ويلاحظ أن عدد الأعضاء لا يؤثر فى تكوين الحزب من حيث القلة أو الكثرة .

٢-وحدة المبادئ :- فكل حزب سياسى ينبغى أن يكون لديه منهجا يمثل المبادئ التى يؤمن بها ويعمل جاهدا من أجل الدعوة لها ونشرها والدفاع عنها .

٣-وحدة التنظيم :- إذ من الضرورى أن يخضع الحزب لتنظيم دقيق وصارم يحكم أعضاؤه لا سيما وأن الصراع يسود بين الأحزاب بهدف التوصل الى السلطة لذلك ينبغى أن يكون الحزب قادرا على التصدى لحالات الهجوم والتنافس التى يتعرض لها من الآخرين .

ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون هناك تخطيط وتنظيم سليم يسير الأعضاء وفقا له حتى يستطيعون مواجهة حالات الصراع ، ولا يتم ذلك إلا من خلال إطاعة الأوامر التى تصدر اليهم وتنفيذ كل ما يطلب منهم .

٤-وحدة القيادة :- إذ أنه من المعروف أن لكل تنظيم ناجح قيادة ناجحة قادرة على توجيه أعضائه الوجهة السليمة التى أنشئ من أجلها.

٥-الوصول الى السلطة :- فكل حزب يحاول قدر طاقته أن يصل الى مركز السلطة ، ذلك لأن السلطة هى التى تمده بالعون الكامل والمساعدة الأكيدة فى تحقيق برامجه ومبادئه التى نادى بها كثيرا (١٦) .

الركائز الأساسية للأحزاب السياسية فى العصر الأموى :-

وعلى ضوء الركائز الأساسية للحزب المعاصر نلاحظ بالنسبة للأحزاب السياسية فى العصر الأموى ما يلى :-

١-ان المسألة التى اختلف المسلمون حولها بعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى هى مسألة الخلافة أوالإمامة . ومسألة الخلافة مسألة سياسية ذات صبغة دينية .

٢-ان التزاحم والصراع على السلطة كان هو المحرك الفعال لكل أحداث هذا العصر . وكانت السلطة هى الشغل الشاغل لتفكير المفكرين .

٣-نظرا لما للدين من مكانة كبيرة فى نفوس المسلمين آنذاك فقد اصطبغت الأحزاب السياسية بصبغة دينية . وصارت كل فرقة دينية حزبا سياسيا . وصار الذين يقتتلون سياسيا يقتتلون دينيا . وبدل أن يسمى الحزب أسما يدل على المبدأ السياسى الذى يدعو إليه تسمى أسما يدل على المذهب الدينى . كالشيعة والخوارج والمرجئة .

٤-كان لكل حزب من هذه الأحزاب مذهبه وآراؤه ونظرياته فى الحكم ولكل منها وسائله فى الدعاية لآرائه .. ووسائل تحقيقها والتطور بها من نطاق الرأى والفكر إلى ميدان العمل .

٥-تركزت جهود هذه الأحزاب وأنشطتها والتفكير لها فى يد شخصية واحدة هى المهيمنة على كافة أمور الحزب ، ويدين لها الجميع بالطاعة والولاء بحكم ما توافر لها من شروط الإمامة ومقوماتها .

٦-اتسم الطابع العام لنشاط هذه الأحزاب بالاندفاع العاطفى ، ولم يتنبه لأهمية التنظيم ودوره فى النشاط الحزبى سوى بنى العباس عندما آلت إليهم الدعوة لآل البيت فقد جعلوا التنظيم طابعا لحركتهم .. وقد ظهر أسلوب التنظيم واضحا فى هذه الحركة منذ بدايتها سنة مائة هجرية .

وعلى هذا الأساس فإن الأحزاب السياسية التى نشأت فى العصر الأموى يمكن اعتبارها أحزابا سياسية حقيقية .. وهى تشبه إلى حد كبير الأحزاب الحديثة . إذ أنها تشاركها فى أن لكل منها مناهجه ونظمه وأهدافه وأساليبه ووسائله التى يسلكها لتحقيق أهدافه .. كما أنها تتفق معها كما يقول " ايدموند بيرك " فى تعريفه للحزب السياسى .. فى أنها " مجموعة من الناس اتحدوا فيما بينهم للعمل بمجهودهم المشترك على تحقيق الصالح العام وفقا لمبدأ معين يتفقون عليه جميعا فيما بينهم ".

نشأة الأحزاب السياسية المعاصرة :-

إذا حاولنا تتبع نشأة الأحزاب بصورة حقيقية ، فإنه لا ينبغى أن يغيب عن أذهاننا أن الإنسان سياسى بطبعه ويسعى للمشاركة فى الأنشة السياسية التى تحيط به بصورة تلقائية . فضلا عن أن الصراع السياسى قد ظهر فى الوجود منذ وجود الانسان على وجه الأرض . ومن المعروف أن الناس يختلفون فيما بينهم من حيث الاتجاهات والمصالح والآمال والمعتقدات ، هذا إلى جانب أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية تلعب أدوارا أساسية فى أختلاف الناس وعدم اجتماعهم على رأى واحد ، وهذا يؤدى

بطبيعة الحال إلى أن ينقسم أعضاء الوطن الواحد الى أحزاب وطوائف كثيرة ومتعددة يختلف كل منها عن الآخر . وعلى هذا فإنه من بين الدوافع الأساسية التى تؤدى الى نشأة الأحزاب السياسية اختلاف الناس فيما بينهم من حيث المصالح الاقتصادية والاجتماعية، فضلا عن الاختلاف والتمايز فى المبادئ والأفكار والتقاليد ، وكذلك التمايز الدينى والعنصرى .

وإلى جانب ذلك فإن التعسف والاستبداد بالسلطة واحتكار الامتيازات وحصرها فى نطاق عدد قليل من الناس ، فضلا أن عدم مراعاتها للمصالح والاهتمامات العريضة للناس ، قد يؤدى هذا كله إلى نشأة الأحزاب بهدف تغيير الحكم القائم والطبقة الحاكمة .

وقد عرفت الشعوب السابقة الأحزاب السياسية ، وكانت هذه الأحزاب عبارة عن أحزاب فكر ، وكانت هى المظهر الأول لقيام الأحزاب السياسية فى أقدم العصور الى جانب أحزاب المصالح المتناقضة التى كانت تتمثل فى أحزاب الأغنياء والفقراء . وعلى هذا فلم تكن هذه الأحزاب قائمة على أسس علمية سليمة كما هو الحال فى الأحزاب الحديثة التى تستخدم كافة الأساليب الموضوعية فى تشييد أركانها .

أما عن النشأة التاريخية المحددة لظهور الأحزاب السياسية فإن البعض يرجعه إلى سنة ١٨٣٢ فى بريطانيا .. غير أن " موريس ديفرجيه M. DUVERGER " يرجع هذه النشأة الى سنة ١٨٥٠م . ويذهب البعض الى أن الحزب السياسى يعتبر نتاجا لنوع خاص من المجتمع السياسى وأن مصطلح " حزب سياسى " قد ظهر فى الوجود أول ما ظهر فى القرن التاسع عشر عندما ظهرت الحكومة النيابية ، وعندما اتسعت عملية التصويت الانتخابى فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بصورة واضحة (١٧) .

الجذور التاريخية للنزاع السياسى على الخلافة :-

كانت الأزمة السياسية فى الإسلام نزاعا على الخلافة بين بنى هاشم وبنى أمية . وقد بدأ هذا النزاع منذ الجاهلية وبلغ ذروته

فى أيام عثمان وعلى رضوان اللـه عليهما ثم انتهى باستيلاء معاوية بن أبى سفيان على الخلافة .

بدأ العداء الداخلى فى قريش قبل الاسلام وكان عداء اقتصاديا . كان لعبد مناف ابن قصى ولدان : عبد شمس وهاشم . ولقد اتفق أن حال هاشم ركد فاستبد عبد شمس بالتجارة ، ثم استبد ابنه أمية بالحرب أيضا . وهكذا أصبحت السيادة العسكرية والمادية فى بنى عبد شمس ، ومن أجل ذلك اضطر هاشم ثم ابنه عبد المطلب إلى أن يكتفيا بالتكسب من التجارة المحلية فى أيام المواسم (بالسقاية والرفادة أى إسقاء الناس وإطعامهم فى مواسم الحج).

وهذا التفاوت بين الأخوين هاشم وعبد شمس أدى الى ما يلى :

١-قوى فرع عبد شمس " ولد أمية اقتصاديا وعصبيا . بينما هاشم وآله من بعده أخذوا يضعفون من هذه الناحية .

٢-جعل انصراف آل هاشم الى السقاية والرفادة " وهما متعلقان بالكعبة وبالتالى بالناحية الدينية من حياة قريش " جعلهم يتجهون اتجاها دينيا فيه كثير من الوفاء والمثل العليا بينما اتجه بنو عبد شمس (بحكم اتصالهم بالتجارة والحرب) اتجاها ماديا معنويا .

٣-إن هذا التفاوت هو الذى خلق النزاع بين الفرعين القرشيين .

وعندما ظهر الإسلام كان بنو هاشم ضعفاء اقتصاديا وعصبيا بالإضافة إلى أن بنى أمية كانوا أقوياء . من أجل ذلك كان كل تبديل فى حياة قريش السائدة يومذاك يضر بنى أمية حتما ، وقد ينفع بنى هاشم فلم يكن من المستغرب اذن أن يسرع بنو هاشم إلى اعتناق الإسلام وأن يقاوم بنو أمية الإسلام ما استطاعوا الى ذلك سبيلا (١٨)

وأخيرا عم الاسلام شبه جزيرة العرب .. ولم يجد بنو أمية مندوحة لهم من الدخول فيه. ولكنهم دخلوا وهم أقوياء يحاولون الاحتفاظ بجميع الامتيازات التى كانت لهم .

الوحدة السياسية فى العهد النبوى :-

وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم عاش المسلمون فى شغل عن العصبية إلا فى القليل النادر لأنهم صاروا وحدة سياسية تصرف جهودها لحماية عقيدتها وصيانة حياتها .. ولأن الغزوات شغلتهم عن دعاوى الجاهلية . وتعاليم الدين الجديد صاغتهم على الإخاء والمساواة والتعاون والمحبة ، ثم إن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام طغت على نزعاتهم ونزواتهم فاستظلوا جميعا بظله واقتدوا بأفعاله وأقواله ، ووجدوا فيه الأب المحبوب المرهوب الذى يسوى بين بنيه ويعطف بعضهم على بعض وينسيهم ما سلف من شحناء وبغضاء .

النزاع السياسى على الخلافة :-

ولم يكد الرسول يلحق بالرفيق الأعلى حتى بدرت العصبية المتوارية ونجم الصراع على من يخلفه وكان هذا النزاع بين طائفتين من المسلمين هما المهاجرون والأنصار لكن المهاجرين ممثلين فى أبى بكر وعمر سرعان ما أخمدوا الفتنة وأقنعوا الأنصار أوحاولوا أن يقنعونهم بأن الخلافة فى قريش .

انقضى عهد أبى بكر وعمر فى سلام ووئام إذ كفلا للمسلمين أسباب الرضى والطمأنينة ، وحققا لهم التسوية فى الحقوق .

وكان المسلمون فى عمل شاق متصل بالفتوح واقرار النظام الجديد ودرء الخطر المتهدد فى النفوس من الفرس والروم (١٩) .

ثم ولى عثمان الخلافة نتيجة للشورى التى جعلها عمر إلى ستة من كبار الصحابة ، وكان للشورى الأثر الكبير فى نشوء الأحزاب القائمة على الولاء لأشخاص معينين لديهم أهداف شخصية فى الوصول الى الحكم . وهو ما عبر عنه معاوية بقوله " إنه لم يشتت بين المسلمين ولا فرق أهوائهم ولا خالف بينهم إلا الشورى التى جعلها عمر إلى ستة نفر فلم يكن منهم إلا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت إلى ذلك نفسه " (٢٠) .

وكان عثمان لين العريكة واسع الحلم حتى اغتبط بعض الناس بحكمه لما وجدوا فيه من تيسير لم يجدوه عند عمر . فخرج كبار الصحابة إلى جهات الدولة يملكون فيها الضياع ويثرون ويجمعون حولهم الرعية وترك للأغنياء أمر الزكاة يخرجونها حسب تقديرهم ، وأخذ الترف يدب بين الناس (٢١) .

وبولاية عثمان عاد النزاع صريحا بين بنى أمية وبنى هاشم فقد كان عثمان فى رأى الهاشميين ظاهرة أموية تسترد مجدهم القديم . أما بنو هاشم فقد قووا وكثر أتباعهم . إما اقتناعا بحقهم فى الخلافة وإما التفافا حولهم كرها لسياسة عثمان ، ولكن أولئك الذين التفوا حول بنى هاشم كانوا يطلبون الخلافة لأنفسهم وكانوا يرون أن وجود بنى أمية على سدة الخلافة مانعا لهم من الوصول إليها (٢٢)

وقد أثارت سياسة عثمان فى الأمور السياسية والإدارية والمالية عليه وعلى عهده موجة من السخط بين المسلمين علمة وبين بقية أعضاء مجلس الشورى الخمسة خاصة . على أن أعضاء مجلس الشورى وهم على بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير ابن العوام وسعد بن أبى وقاص وجدوا أن ارتفاع شأن بنى أمية يهدد مكانتهم ونفوذهم . ولم يكن الطموح السياسى هو السبب فى معارضة هؤلاء لتصرفات عثمان ، بل كانوا حريصين على العمل بأحكام الدين والتمسك بالخير والحق . وكذلك سائر المسلمين ، فقد استاءوا من تصرفات عثمان وعماله وولاته ونقموا عليهم لما رأوه من عصبية أموية وقرشية على أيديهم كذلك فإن عثمان اتخذ ابن عمه مروان بن الحكم كاتبا له فى المدينة وترك له الأمر ، فملأ مروان كل مناصب الولاية بأهل قرابته ، وبذلك أصبحت المراكز الإدارية فى الدولة تحت تصرف بنى أمية (٢٣) .

وفى شوال من سنة ٣٠هـ (نيسان ٦٥٦م) جاءت وفود الأقطار الى المدينة تتظاهر بطلب الاصلاح . وكان أشد الوفود نقمة وفد مصر ، ويقال أن عثمان أرضى وفد مصر بأن كتب لهم كتابا بعزل عبد الله بن أبى سرح وتوليتة محمد بن أبى بكر على مصر غير أن مروان بن الحكم كاتب عثمان كتب كتابا إلى عبد الله بن أبى سراح وختمه بخاتم عثمان يوعز فيه إلى عبد الله بن أبى سرح

بقتل محمد بن أبى بكر إذا وصل إلى مصر . ولكن بـن خلـدون يـرى أن الكتاب الذى نسبوه إلى مروان كان مزورا عليه ، وأن مـروان لا يظن به شئ مما قالوه فيه (٢٤) .

النزاع بين على ومعاوية ونشأة الأحزاب السياسية :-

وعندما عثر وفد مصر على هذه الرسالة وهم فى طريق العـودة رجعوا وحاصروا الخليفة فـى منزلـه وطلبـوا إليـه الاسـتقالة فرفـض وعندها انقضوا عليه وقتلوه .

وقد مال بعض الثوار إلى تولية على ما بعد مقتل عثمان وكان أكثر الصحابة متفرقين فى الأمصار . ولم يكن بالمدينة منهم إلا نفـر قليل ومع ذلك فقد تمت البيعة لعلـى ، وبـادر إلـى عـزل ولاة عثمـان دون أن يأبه لنصيحة بعض الصحابـة الذين أشاروا عليـه بإبقـائهم ريثما تستقر الحالة وتهدأ الفتنة (٢٥) .

وقد أحفظ هذا التصرف الولاة . ولكنهم رضخوا لأمر العزل مـا عدا معاوية بن أبى سفيان والى الشام الذى أبـى أن يذعن واستغل صلة القربى التى تربطه بعثمان رضوان الله عليـه فنـادى بالثـأر لـه وطلب إلـى علـى أن يسلمه القتلـة فرفض علـى وبدأ الصـراع بيـن الرجلين. وفى ربيع سنة ٦٥٧م سار على بجيوشه فى اتجاه الشـمال الغربـى وخـرج معاويـة للقائـه علـى الحـدود السـورية فـى " صفيـن" الواقعة على الضفة اليمنى مـن الفرات ، وبعد مفاوضـات استمرت شهرا وانتهت بالفشل اشتبكت قوات الفريقين ونجـح جيش علـى أن يشق طريقه إلى النهر وأن يضيق الخناق على معاوية وجيشه فلجـأ معاوية الـى الحيلـة . اذ أمـر برفـع المصـاحف علـى رؤوس الرمـاح إشارة الى وجوب تحكيم كلمة الله لا كلمة السيف . وأوقفت المعركة واتفق الفريقان على اختيار حكمين هما عمرو بن العاص نيابـة عـن معاوية وأبو موسى الأشـعرى نيابـة عـن علـى ليحكمـا بينهمـا علـى أساس القرآن .

واجتمع الحكمان واستطاع عمرو بـن العـاص بدهانـه أن يخـدع أبا موسى الأشعرى وأن يعلن معاوية خليفة على المسلمين ولم يلبث موقف على أن تضعضع خصوصا بعد أن انشق عليه قسم من جيشه

وقد سموا فيما بعد بالخوارج . فرأى نفسه مضطرا لمناجزتهم قبل الإنصراف إلى قتال معاوية .

وقد استطاع على أن يهزم الخوارج ولكنه فيما كان يستعد للحملة على سورية اغتاله ابن ملجم فى مسجد الكوفة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ (٢٤ كانون الثانى سنة ٦٦١م) (٢٦) . وقد أزاح مقتل على بن أبى طالب منافسا قويا من وجه معاوية ولكنه لم ينه النزاع بين بنى أمية وبنى هاشم . فإن الهاشميين سرعان ما نصبوا الحسن بن على خليفة مكان أبيه ولكن الحسن حقنا للدماء آثر التنازل لمعاوية عن الخلافة سنة ٤١هـ ٦٦١م وبذلك صار معاوية خليفة للمسلمين وسمى هذا العام عام الجماعة (٢٧) .

وبهذه الطريقة التى تمكن بها معاوية من الاستيلاء على الحكم وجعله وراثيا فى عقبه من بعده تأكد انقسام المسلمين إلىشيع وأحزاب تتصارع حول الخلافة لمن تكون ؟.. هل تقتصر على بنى أمية ؟ أو تكون حقا شائعا للمسلمين جميعا أو ترد إلى بنى هاشم وأبناء على خاصة (٢٨) . وإذا نحن نظرنا إلى نشأة هذه الأحزاب بالمفهوم الحديث للحزبية لعلمنا أنها مسألة سياسية خالصة . فالصراع بين المسلمين كان صراعا سياسيا حول منصب الخلافة وحول أحقية كل طرف من أطراف النزاع فى هذا المنصب . ولما كانت الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا لذلك كان طبيعيا أن تصطبغ هذه الأحزاب السياسية بالصبغة الدينية.

وهذه الصبغة الدينية للأحزاب السياسية لم تكن بالأمر المستغرب وخاصة بعد أن اجتمعت السلطتان الدينية والدنيوية فى يد واحدة . وأصبح لكل مشكلة وجهان : دينى ودنيوى . واختلف الناس حول هذه المشاكل .. فمنهم من يؤيد وجهة نظر معينة وآخرون يخالفونهم فى الرأى ويقارعون الحجة بالحجة .. ومن هنا تبلورت الأحزاب السياسية .. وأصبح لكل حزب منهم نظريته السياسية وأصوله الفكرية ذات الطابع الدينى .

أما بالنسبة للأحزاب التى تكونت فى العصر الأموى فهى :-

١- الحزب الأموى :-

وهم الذين يرون أحقية معاوية بن أبى سفيان وأبنائه بالخلافة ومقره دمشق .

٢- حزب الشيعة :-

وهم الذين ناصروا عليا وأولاده وكان مقرهم العراق .

٣- حزب الخوارج :-

وهم الذين خرجوا على على ورفضوا التحكيم وكانوا فى العراق.

٤- الحزب الزبيرى :-

وهم الذين ناصروا عبد الله بن الزبير فى خروجه على بيعة يزيد بن معاوية وكانوا بالحجاز .

٥- حزب الموالى :-

وقد ظهر هذا الحزب بسبب تعصب الدولة الأموية للعرب .

وهذه الأحزاب الخمسة هى التى أدارت دفة الصراع السياسى خلال العصر الأموى بالكلمة أولا وبالسيف ثانيا حينما تفشل الكلمة فى تثبيت أفكارهم وتدعيم سلطانهم.

ويوجد بالاضافة إلى ذلك حزبان آخران لم يكونا بمثل الحدة التى كانت عليها الأحزاب الأخرى وهى :-

١- حزب المرجئة .

٢- حزب المعتزلة .

أما المرجئة فهم حزب محايد فى الحكم على المتنازعين بعد مقتل عثمان .. ولم ينشأ هذا الحزب إلا بعد منتصف القرن الأول للهجرة .. وإن كانت جذوره الأولى ظهرت عقب مقتل عثمان . يقول ابن عساكر فى كتابه تاريخ الشام . " أنهم قدموا المدينة وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ، ليس بينهم اختلاف ، فقالوا : تركناكم وأمركم واحد ليس بينكم اختلاف . وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون .. فبعضكم يقول قتل عثمان مظلوما وكان أولى بالعدل وأصحابه . وبعضكم يقول : كان على أولى بالحق وأصحابه . كلكم ثقة عندنا مصدق . فنحن لا نتبرأ منهما ، ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون هو الذى يحكم بينهما " ويقول النووى أن القضايا كانت مشتبهة حتى ان جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ، وكانت نظرتهم إلى الخلافة والخليفة وسطا بين الخوارج والشيعة .. فقد فصلوا العقيدة الدينية عن الرأى السياسى .. فلم يدينوا بالثورة على الساسة والحكام الذين يخالفونهم فى مذهبهم لأن كل من أعلن إسلامه مسلم ولا يخرجه من إيمانه أنه عاصى أو مرتكب للكبائر ، وهم ينفرون من المعاصى ، لكنهم لا يقضون على العصاة بدخول الجنة والنار بل يرجئون الحكم فى ذلك إلى الله يفعل بهم ما يشاء يوم القيامة . هذه الصيغة العامة لنشأة المرجئة توحى بأنهم حزب سياسى يسالم الجميع ويقف منهم موقف الحيدة .. فهم لم ينحازوا إلى فريق من المسلمين المتنازعيين دون فريق لم يؤيدوا بنى أمية ولم يقضوا بتفكيرهم أو يثوروا عليهم كما فعل الخوارج والشيعة ، لأن بنى أمية فى نظرهم مسلمون يحاسبهم الله على أعمالهم يوم القيامة. ومعنى هذا أن حكومتهم شرعية وأنهم أولو أمر ، طاعتهم واجبة .

كذلك سالموا الشيعة والخوارج والمعتزلة والزبيريين ، ولم يكفروا أحدا منهم ، لأنهم وبنى أمية إما على حق وإما أن كلا منهم اجتهد أو أخطأ .. وخطأ المجتهد لا ينقص إيمانه .

أما المعتزلة فهم طائفة دينية كالمرجئة نشأت فى العراق ثم ذاعت تعاليمها هناك وفى دمشق ـ وهى فى نشأتها امتداد لفرقة المرجئة وثمرة من ثمرات الاتصال بالثقافات الأجنبية .

ولقد تبين تأثرهم بالمرجئة من مشابهتهم لهم فى التوقف عن الحكم على أحد الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين ومن قولهم أن مرتكب الكبيرة ليس كافرا .

أما تأثرهم بالمذاهب الأجنبية فيتبين من ضروب الخلاف والجدل الذى كان محتدا بين طوائف النصارى فى الأقاليم التى فتحها المسلمون. كما تعلموا الفلسفة اليونانية وتقووا بها فى جدلهم . وبالنسبة لسبب تسميتهم بالمعتزلة فيرجع الى أن واصل بن عطاء الغزال خالف أستاذه الحسن البصرى فى وصف مرتكب الكبيرة .. إذ كان الحسن يرى أنه منافق أما واصل فذهب الى أنه ليس مؤمنا مطلقا وليس كافرا مطلقا بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، وتابعه على رأيه عمرو بن عبيد . وينسب الانفصال فى روايات أخرى إلى عمرو بن عبيد لا الى واصل ، وتختلف الروايات على من سماهم المعتزلة ، فهو تارة الحسن البصرى ، وتارة قتادة ، حينما مر بعمرو بن عبيد بن باب فقال : ما هذه المعتزلة (٢٩).

على أن استخدم هذه الكلمة كان أسبق من ذلك فقد ذكر الطبرى أن كلمة معتزلة دالة على الحياد فى الخصومة بين على وخصومه يقول : ولما اتجه طلحة والزبير وعائشه من مكة إلى البصرة لإثارة الناس على على خرج معهم المغيرة وسعد بن العاص مرحلة من مكة ، فقال سعيد للمغيرة : ما الرأى ؟ قال : الرأى والله الاعتزال فإنهم ما يصلح أمرهم ، فاعتزلا ورجعا الى مكة .

وعلى أية حال فقد كان لهذه الكلمة معنى سياسى خاص هو الابتعاد عن الصراع الناشب بين على وخصومه .. وعدم مناصرة فريق على آخر . ولهذا لم تقاومهم الدولة الأموية كما قاومت الشيعة والخوارج . لأنهم كانوا أقرب الى مسالمتها من هؤلاء . ولأنها وجدت فى مذهبهم السياسى مصلحة لهم لأنهم لا يتحيزون للشيعة ولا للأمويين .. وهذا ما جعل بعض خلفاء بنى أمية المتأخرين يعتنقون الاعتزال كيزيد بن الوليد ومروان بن محمد .

ثامنا : الأصول الفكرية للأحزاب السياسية :-

١- الحزب الأموى :-

قام الحزب الأموى على أساس أن هناك خليفة أمويا : هو عثمان ، وأنه قتل مظلوما ، وأهل بيته هم أولياء دمه ، يمثلهم معاوية ، وأن الأمويين أصلح للحكم وأقوم الناس بأعبائه ومعهم كثرة تؤيدهم وأنهم أصحاب مجد قديم . وأن نتيجة التحكيم فى أعقاب صفين كانت فى جانبهم ، ثم زعموا للناس أنهم وارثوا النبى صلى الله عليه وسلم فصاروا بذلك أحق الناس بهذا الملك الإسلامى. وأن خلفاء بنى أمية خلفاء الله ورسوله لخلقه فطاعتهم واجبة (٣٢) ونصرتهم محقة محتمة يقول الأحوص فى الوليد بن عبد الملك :

تخيره رب العباد لخلقه ولیا وكان الله بالناس أعلما

وتتضح نظرية الحزب الأموى السياسية فى قول زياد بن أمية فى خطبته البتراء فى البصرة " أيها الناس : إنا اصبحنا لكم ساسة ، وعنكم زادة . نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا . ونذود عنكم بفئ الله الذى خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا (٣٣) .

٢- حزب الشيعة :-

بدأت بذور هذا الحزب فى النمو حين سخط الناس على عثمان وأخذ كثير منهم يبحثون سرا عن خلفية جديد ، وكان على بن أبى طالب أحد من أتجهت إليه الأنظار والتف حوله بعض الأنصار وهم الذين سموا فيما بعد باسم الشيعة ـ فلما قتل عثمان أسرع كثير من أنصاره إليه وبايعوه .. وينتقل على إلى العراق ويتخذ الكوفة عاصمة له .

وتدور النظرية السياسية لهذا الحزب على أن على بن أبى طالب وأبناؤه وأحفاده من بعده هم أهل الخلافه الحقيقيون . وأصحابها الشرعيون لأنهم آل الرسول صلى الله عليه وسلم . ولا حق فيها لغير العلويين وأن الأمويين اغتصبوها منهم وينبغى أن

ترد عليهم وأن الخلافة ليست مفوضة للأمة بل تنتقل بالوصية فى على وأبنائه المعصومين من الأئمة انتقالا طريقه النص . ويذكرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة من بعده لعلى بن أبى طالب يوم غدير حم . وفى ذلك يقول الكميت :-

ويوم الدوح دوح غدير حم أبان له الولاية لو أطيعا

وحينما انتهى الأمر بغلبة الأمويين واستحالة الخلافة ملكا وراثيا عاش الشيعة حزبا معارضا للحكومة شأن الخوارج أيضا .. وصرنا نرى نظاما سياسيا ينطوى على تأييد ومعارضة . ويستتبع سياسة يقظى حازمة حكيمة من جانب الحكام وأخرى عنيفة ثائرة أو مهادنة من جانب المعارضين .

وكان الشيعة يبغضون الأمويين لاغتصابهم حقا ليس لهم كما كانوا يخفون نشاطهم السياسى خوفا واتقاء للهلكة أو انتهازا للفرص . وينقسم الشيعة الى أربعة فرق رئيسية هم : السبئية ، الكيسانية ، الزيدية ، الرافضة . ثم افترقت هذه الفرق الأربع الى اثنتين وعشرين فرقة .

ومن تعاليم الشيعة التى تتصل بالخلافة الإسلامية أو نظام الحكم فى هذه الدولة قولهم بالعصمة والتقية والرجعة والمهدية ، فالأئمة عندهم معصومون من الخطأ . ولعلها فكرة فارسية أدخلها الفرس الذين درجوا على أرستقراطية الملوك وتقديسهم ، لذلك سماها العرب نزعة كسروية . وأنكرها معتدلوا الشيعة وأئمتها الأولون لمخالفتها الطبيعية الإنسانية .. ولاسيما فى هذه البيئة العربية التى لاتعرف إلا الديمقراطية .

كذلك هناك المهدى المنتظر : وهو إمام يأتى ليملأ الأرض عدلا بعد موته أو غيبته الطويلة أضفاها كيسان على بن الحنفية ثم استغلها الشيعة ليبشروا الناس بعودة الخلافة إليهم واستردادها من الأمويين حتى لا يغمرهم اليأس وينسوا الهاشميين فتضيع منهم آمالهم أيضا أو ما يدلون به على الناس من سلطان دينى واجتماعى(٣٤) .

وكانت الرجعة اتساعا فى عقيدة المهدى يؤمن بها كثير من الإمامية ويرون أن الرسول عليه الصلاة والسلام وعليا والحسن والحسين وسائر الأئمة يرجعون إلى الدنيا وكذلك خصومهم كأبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد ابنه ، ويعذب هؤلاء الخصوم الذين اعتدوا على الأئمة وغصبوهم حقوقهم أو قتلوهم ثم يموتون جميعا .

وأما التقية فكانت عند الشيعة من تمام تعاليمهم أو هى وسيلة يسترون بها ضعفهم وأساليبهم فى الدعوة السياسية مخافة التنكيل بهم وإنقطاع آمالهم وأمال الناس فيهم ، فاعتمدوا عليها انتهازا للفرص وفسروا بها كثيرا من سلوك أئمتهم (٣٥) .

٣- حزب الخوارج :-

الخوارج فى اللغة العربية جمع خارج وفى الاصطلاح الشرعى يطلق على كل من خرج على طاعة الإمام الحق الذى أوجب الشرع طاعته وحرم الخروج عليه .. واشتهر هذا الأسم على الذين خرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه بسبب التحكيم وهم اثنى عشر ألفا ويلقبون بألقاب متعددة منها : المحكمة والشراة والحرورية والنواصب والمارقة . وقد اتفق الصحابة رضوان الله عليهم على جواز قتلهم بل الجمهور على وجوبه .. وقد انقسموا إلى فرق كثيرة منها :- المحكمة الأولى .. والبيهسية والأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والشعيبية والحازمية والميمونة والصلتيه والحزمية والثعالبة ...الخ (٣٦) .

ويبنى حزب الخوارج نظريته السياسية على أن الخلافة ينبغى ألا تكون قاصرة على قريش بل تترك لجميع المسلمين لأنها حق الله يتولاها خيرهم ورعا وتقوى ونفعا وكفاية سواء كان هاشميا قرشيا أم غير قرشى عربيا أم عجميا فهم يدعون لنظام جمهورى لا تورث فيه الخلافة إنما يتم الوصول إليها بالأساليب الديمقراطية وهو الانتخاب ، وعدوا الأمويين مغتصبين للخلافة ينبغى مجاهدتهم ومجاهدة الجماعة التى ارتضت حكمهم ونظامهم الوراثى واعتبارهم دار حرب وقتال . كما حكموا بكفر على ومعاوية ومن ناصرهما بعد

التحكيم لأنهم حكموا بغير ما فى كتاب الله إذ عدلوا عن تحكيم الله الى تحكيم الناس (٣٧).

وقد رأى على بن أبى طالب أن هذه الفرقة التى شقت عصا الطاعة وزادت فى تفرق المسلمين خطرا على الوحدة الإسلامية فنهض إلى محاربتها لعلها تثوب إلى رشدها ، وكانت أعنف معركة خاضها مع الخوارج هى معركة النهروان التى ألحق بهم فيها هزيمة نكراء فضلا عما فقدوه من ضحايا كثيرين .

لكن هذه الحرب لم تقض عليهم ولم تشتت صفوفهم بل زادتهم حقدا على على وتكتلا ضده . وقد قدر للإمام أن يموت بطعنة من يد خارجى هو عبد الرحمن بن ملجم . وقد أفضت المقاومة التى لقيتها هذه الجماعة إلى نفرتهم من الدولة ووقوفهم موقف المعارض الدائم لها . ولم تقتصر معارضتهم على القول فقط بل تعدته إلى العمل الثورى واستخدام العنف حتى غدا تقويض دعائم الدولة هدفا من أهدافهم (٣٨) .

ولذلك لم يهادنوا الدولة الأموية منذ نشأتها ، ومن أجل ذلك نشط الخليفة عبد الملك إلى تجريد حملة للقضاء عليهم فظلوا شوكة فى كيان الدولة الإسلامية فى مختلف عصورها .

وعلى أيه حال فقد اتسم الخوارج بالفدائية وبأنهم باعوا أنفسهم فى سبيل تحقيق فكرتهم ، وفنيت عصبيتهم القبلية والجنسية فى عقيدتهم المذهبية ، وكل منهم يريد أن يموت شهيدا فى ساحة الجهاد الدينى الذى وهبوا أنفسهم له (٣٩) .

حزب الزبيريين :-

ينسب هذا الحزب إلى عبد الله بن الزبير وأبوه الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أشراف قريش ومن السابقين الى الإسلام وأحد رجال الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليكون من بينهم خليفة المسلمين من بعده وإحدى جداته صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول عليه الصلاة والسلام والأخرى خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأمه السيدة

أسماء بنت أبى بكر الصديق وأخت السيدة عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم (٤٠) .

ولد عبد الله بعد الهجرة بعشرين شهرا . وقيل هو أول مولود بالمدينة فى الإسلام ، وقد تكون هذا الحزب بعد تولى يزيد الخلافة وفى أعقاب موت الحسين . فاعتصم عبد الله بمكة ودعا لنفسه بالخلافة ، وقد خضعت له الحجاز والعراق وخرسان واليمن ، واستمر فى خلافته الى أن تمكن الحجاج من محاصرته بمكة وقتله وذلك فى عام ٧٣هـ (٤١).

وبينى حزب الزبيرين نظريته السياسية على أساس أن الخلافة ينبغى أن تكون فى قريش وأن يتولاها أحد أبناء الصحابة الأولين يختاره المسلمون بالشورى كما كان الأمر على عهد الخلفاء الراشدين ، وأن تكون حاضرة الخلافة فى الحجاز . مسايرة لعهد الخلفاء الراشدين . ولعله كره الشام لمكانة الأمويين هناك ، وكره العراق لأنه مستقر الشيعة ، لذلك اعتصم بمكة وطرد الأمويين من المدينة وسمى نفسه العائذ (٤٢).

ولم يطل الوقت بابن الزبير ورهطه لتظهر بشكل علمى نواياه فى مسألة الخلافة فى هذا السلطان ، فقد قضى مدته فى تأسيس وحروب ثم قضى وتبعه حزبه دون تفكير فى استمراره ، كذلك لم يترك لنا دعاة ينهضون بإقرار نظريته والسير على سنتها . ولو جدلا كما فعلت الأحزاب الأخرى فكان حزبه أشبه بثورة طارئه (٤٣).

حزب الموالى :-

الموالى كلمة تطلق على كل من دخل فى الإسلام من غير العرب سواء أكان رقيقا أم لا . وأستعملت كتب الفقه هذه الكلمة للدلالة على نفس المعنى أيضا ، وسمى العجم موالى لأن بلادهم فتحت عنوة بأيدى العرب ، وكان للعرب استرقاقهم . فإذا تركوهم أحرارا فكأنهم أعتقوهم .. والموالى المعتقون .

وقد تكون هذا الحزب نتيجة لموقف الدولة الأموية منهم فقد تعصب الأمويون للعرب .. وكانوا يقدمونهم على غيرهم من الموالى

فى الوظائف العامة كالقيادة والقضاء والولاية وكانت سياستهم عربية أكثر منها إسلامية مما أدى إلى نقمة الموالى على العرب عامة وعلى بنى أمية خاصة (٤٤) وذلك لخروجهم على أصول الإسلام الذى يسوى بين أهله ولا يفرق بين عربى وعجمى إلا على أساس التقوى وقالوا حينئذ بالتسوية مادام الإسلام عاما والناس أمامه سواء ثم أخذوا يعتزون بمجدهم التليد ودولتهم الذاهبة ذات الحضارة الراقية والآثار الباقية والسلطان العظيم والغنى العريض .

ونتيجة لروح التذمر هذه والسخط على العرب وخاصة الأمويين نجدهم يشاركون فى كل الثورات التى تقوم ضد بنى أمية .. فوجدنا قسما منهم يظاهر العلويين وقسما آخر يساند الخوارج وساعدوا بذلك على تفويض دولة بنى أمية ورفع العباسيين الى سدة الحكم ، وبدأت بذلك بالنسبة للفرس فقط صفحة جديدة فى تاريخ علاقاتهم بالعرب (٤٥) .

وقد عبر محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى وصفه ــ لاتباعه ودعاته عندما أرسلهم لبث الدعوة العباسية ــ لهذه الحالة من الإنقسام والتفرق والتحزب التى أصبح عليها العالم الإسلامى على عهد الدولة الأموية بقوله :

" أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على بن أبى طالب ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول : كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون فى أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما .. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر .. ولكن عليكم بخرسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدم بها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحازب الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذلون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج ويؤملون الدول . وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواحل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة وبعد

..فكأنى أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق(٤٦) .

obeikandl.com